## عالجها الطالباني باهانة الشعب العراقي:

# تفجيرات كربلاء ردة فعل بريطانية على احداث البصرة

**سمير عبيد***

■ «لو كان بلدي تحت الاحتلال فسوف أقاوم الاحتلال» الرئيس الامريكي جورج بوش.

ان الكلام أعلاه ليس شعارا جديدا، أو حديثا جديدا من أحاديث النبي الجديد جورج بوش، بل هو من الأقوال السياسية المهمة، ويُعتبر بندا من بنود السياسة الأميركية، فكلام الرئيس في الولايات المتحدة ليس مثل كلام الرئيس في دولنا العربية، فهو مسؤول عنه ويُحاسب حسابا عسيرا لو أنكره.

لذا فكلام الرئيس بوش عن المقاومة هو اعتراف بما أقرته الأديان السماوية والدساتير الوضعية والتي كفلت حق المقاومة، أي المقاومة حق مشروع، لذا فما نسمعه من بعض السياسيين العراقيين المنغمسين بمشروع الاحتلال، وما نسمعه من السياسيين الأمريكيين، وكذلك ما نسمعه من الحناجر والأقلام والصحف والقنوات التلفزيونية المؤجّرَة مجرد طنين بعوض لا يؤثر على الرجال الذين قرروا المقاومة.

لذا فالشباب الذين حملوا الحجارة والعصي في مدينة البصرة الصامدة حاضنة أم قصر التي أوقفت الجيش الأمريكي العرمرم 13 يوما في بداية الحرب الظالمة على العراق في آذار (مارس) عام 2003 غير معنيين بطنين هؤلاء، ولقد عبروا عن قناعة تامة بأن الجيش البريطاني يحتل الأرض والسماء والماء وحتى الهواء وهذا غير جائز، ولا بد أن يتم رميهم بالحجارة والأحذية والبصاق، فالرئيس الأسمر ـ موغابي ـ الذي طرد الانجليز وقضى على الاقطاع الانجليزي في بلده ليس أشجع من هؤلاء الشباب والصبية الأبطال الذين أحرقوا دبابات ذنب الرئيس بوش وهو توني بلير، هذا الذي أخذ صفعة قوية من شباب البصرة، فجاءته الصفعة الثانية من شباب ورجال ونساء بريطانيا في الداخل، والذين انتزعوا من بلير وحزبه معظم البلديات البريطانية، فجاءت ردة فعله الديكتاتورية من خلال طرده لبعض الوزراء، فطردهم غير مأسوف عليهم، وفي مقدمتهم كاره العراقيين ـ جاك سترو ـ!!!.

### الطالباني يهين الشعب العراقي!

ولكن المهزلة والاهانة بنفس الوقت عندما يكتب رئيس جمهورية العراق المُعيّن من قبل الأمريكان ـ جلال الطالباني ـ برقية اعتذار الى توني بلير عن اسقاط المروحية البريطانية، واعتذار عن تصرفات الشباب ضد قوات الاحتلال البريطانية في البصرة، فبربكم هل هذا رئيس جمهورية العراق أم هو مدير بلدية في بريطانيا؟

فهل يجوز له هذا الفعل اللاوطني، والذي يستدعي جلسة طارئة للبرلمان العراقي، والسبب لأنه تجاوز على الشعب العراقي، وتصرف وكأن العراق مزرعة خاصة له، وان هؤلاء الشباب مجموعة من العمال في تلك المزرعة، وهو المسؤول عنهم كونهم يعملون عنده!؟.

فلو عاد جلال الطالباني الى مقولة ولي نعمته ـ جورج بوش ـ لعرف ان هؤلاء الشباب لم يخطئوا ومارسوا حقهم الطبيعي الذي يريد الطالباني سلبه منهم، وهو الدفاع عن كرامتهم وأرضهم وعرضهم ومدينتهم ومستقبلهم، فليس هناك عداوة بين هؤلاء الشباب أو بين الشعب العراقي والشعب البريطاني، ولكن هناك آلاف من البريطانيين الذين يحتلون أرض العراق، ويتصرفون كالأعداء ضد الشعب العراقي، لذا لابد من رحيل هؤلاء لتؤسَس مكانهم علاقات تعاون بين العراق وبريطانيا، وعلى أسس محترمة تضمن كرامة العراقيين مقابل مصالح بريطانيا في العراق ، والتي يقررها أبناء العراق وليس توني بلير!.

لذا فخيرا فعل اللواء السيد (خلف العليان) عندما أصدر بيانا انتقد فيه برقية جلال الطالباني الى توني بلير، وأكد وقال (ان الطالباني يمثل نفسه في هذه البرقية ولن يمثل الشعب العراقي) ولقد أصاب كبد الحقيقة بهذا البيان، ولكن أين السياسيون العراقيون الآخرون، فلماذا لا تتحرك دمائهم وغيرتهم على كرامة العراق وعلى الدماء العراقية الزكية التي سالت على أرض البصرة بسبب رصاص الجنود الانكليز، وأين أعضاء البرلمان ، وأين رئيس البرلمان أبو ـ الهومسك ـ من هذا التجاوز؟

### ولكن كيف ان تفجيرات كربلاء ردة فعل انكليزية؟

ان من سنّ سياسة ومبدأ (فرّق تسد) هم الانجليز، وذلك في الأزمان السابقة، ولكنهم جاءوا في العصر الحديث ومعهم الأمريكان ليعدلّوا في مبدأ فرّق تسد ليكون (ورّق تسد)، أي لوّح بالدولار سوف تكون سيدا على الجميع، وهي السياسة الناجحة والرائجة في العراق وللأسف الشديد، ومنذ رحيل النظام السابق ولحد الآن، ولقد تم انجاح هذه السياسة من خلال نشر البطالة بين صفوف الشعب العراقي، وكذلك من خلال الاصرار على عدم اعمار العراق، بل الاستمرار في استدمار كل شيء في العراق ابتداء من الانسان!!. وعندما نفلسف مبدأ (فرّق أو ورّق تسد) نجده مبدأ الحيلة والمكر والخداع والحقد، ومن هذا المنطلق هم يتصرفون التصرفات المشينة الأخرى، فهل نسي الشعب العراقي وأبناء مدينة البصرة يوم تم القاء القبض على شخصين وبلباس عربي في احدى السيارات المدنية المليئة بالمتفجرات والأسلحة والصواعق في البصرة، وهم يعدون العدة للتفجيرات في البصرة، وعند القاء القبض عليهم هجمت القوات البريطانية لتحررهم من خلال اقتحام سجن البصرة وتدميره لتحرير هذين العميلين وعلى طريقة اسرائيل عندما اقتحمت سجن أريحا؟

وهل نسي الشعب العراقي وأحرار العالم مسألة الأطفال الذين تعرضوا لتهشيم العظام، والخصي من خلال الضرب على مناطقهم التناسلية من قبل الجنود البريطانيين وأمام شاشات التلفاز، وعلى طريقة ـ رابين ـ عندما أمر بتكسير عظام الفلسطينيين في الثمانينات من القرن المنصرم؟

وهل نسي الشعب العراقي وأحرار العالم حادثة قتل (4) من المتعاقدين في البصرة وذلك في العام الماضي، وعندما رد الجيش البريطاني المحتل من خلال تفجير أحد المطاعم في مدينة البصرة والذي كان مزدحما، وكانت مدينة البصرة حينها لم تعرف الانفجارات ومنذ مدة طويلة في حينها... فهل جاء انفجار المطعم صدفة وبعد قتل المتعاقدين مباشرة؟

الجواب لا وألف لا بل جاء كردة فعل على قتل هؤلاء الذين تشملهم الحصانة الممنوحة للبريطانيين وللأمريكيين ليقتلوا من يشاؤون في العراق.

فهل هي صدفة أن تحدث الانفجارات في مدينة (كربلاء) الآمنة ومباشرة بعد سقوط المروحية البريطانية، والتي تزامنت مع انفجارات ضخمة في العاصمة بغداد علما ان مدينة كربلاء لم تشهد الانفجارات منذ فترة طويلة، فنحن نجزم أنها ردة فعل بريطانية لم يتمكنوا من فعلها في البصرة لأن الشارع البصري كان يغلي، وقد تسقط المدينة لو حدث الانفجار فيها، لهذا تم اختيار مدينة كربلاء المقدسة، ولو تجرأت الحكومة العراقية ولو مرة واحدة من أجل فتح تحقيق مستقل ـ ونحن نعرف ان الحكومة العراقية لا تمتلك الارادة لعمل هكذا تحقيق لأنها فاقدة السيادة والارادة، ولكنها مجرد أمنية ـ لعرفت الحكومة ان الحقيقة هي التي شخصناها في هذا المقال.

لذا فعلى الرئيس بوش وحاجبه توني بلير معرفة الحقيقة التي تقول ان الولايات المتحدة وبريطانيا ارتكبتا جرائم حرب في العراق، وانتهاكات لحقوق الانسان، وان ماكينة قتل المدنيين الأبرياء مستمرة دون توقف.

فلا حل الا من خلال الانسحاب من العراق، وقبل فوات الأوان، فالذي ستحصل عليه بريطانيا وأميركا من العراقيين في هذا الوقت، ولو أعلنوا جدولة انسحابهم فهو على طبق من ذهب، ولكن سيكون هذا الطبق الذهبي من الصفيح ـ التنك ـ لو تمادوا في غيهم واستمروا في الاحتلال والغطرسة وممارسة القتل بحق الشعب العراقي، لأن الأيام القادمة ليست لصالح توني بلير ولا لصالح جورج بوش، وليست لصالح الحزب الجمهوري، وليست لصالح حزب العمال.

لذا فالحفاظ على ماء الوجه من خلال اعلان الانسحاب هو الطريق السليم، وان الشعب العراقي ليس بينه وبين الشعب البريطاني والأميركي أية عداوة أو مشكلة، فهو تواق للحياة والبناء والعيش الكريم.

فهل هناك أصوات عاقلة في مجلس العموم البريطاني، وفي الكونغرس الأميركي تسمع هذه النصيحة، وتأخذ زمام المبادرة لعقلنة بلير وبوش، وكفى غطرسة وتدميرا وقتلا واحتلالا؟

وهل هناك أصوات عراقية شريفة تعقلن جلال الطالباني وبعض السياسيين الأكراد الذين تمادوا ويتمادون كثيرا على الشعب العراقي وعلى العراق؟

---

* كاتب ومحلل سياسي عراقي
samiroff@hotmail.com

---

# لبنان الطائفي لن يصبح دولة واحدة لكل ابنائه

**شفيق سليمان***

■ ان نظرة الى ما حصل في الانتخابات النيابية الاخيرة ترينا ان لبنان ما برح حتى اليوم امارات وكيانات طائفية، وانما تحت عنوان جديد: هو «الجمهورية اللبنانية». ولتوضيح ذلك اورد لك ما يأتي:

عند عودتنا من استراليا الى لبنان لطبع الجزء الاول من كتابنا «تاريخ لبنان كما كان»، رأينا عودة العماد ميشال عون الى وطنه من منفاه في فرنسا، مرحبا به ترحيبا من الحكومة اللبنانية التي عطفت عليه في المصاعب التي كانت امامه، توقف ملاحقته في دعوى مثوله امام الكونغرس الامريكي لاجل تأييده عندما قرر ما يسميه «قانون محاسبة سورية» (2003)، واعادة الحقوق المعنوية والمادية اليه ولا سيما منها رفع الحجز عن امواله. رأينا حصوله على ارتفاع هائل في عدد الاصوات المسيحية التي نالها في انتخابات 2005 النيابية، والتي كانت على مقدار يفوق تقديرات خصومه. وقد كان، قبل دخوله في الانتخابات، استعمل برنامجا اول ما لحظناه فيه هو سلخ الطائفية من السياسة وقلع العصبية من الدين، مما يُعد في الواقع نعيا على رجال السياسة توسلهم الطائفية لاستمرار بقائهم، وعلى رجال الدين تدخلهم في السياسة لتقوية نفوذهم. ومع كونه لم يتحرج من اعلان عزمه على علمنة الدولة، اذ ان كل لبناني يجب عليه ان يوالي وطنه لا طائفته ليكون أهلا لتقلد منصب، فانه غدا، بعد خروجه من هذه الانتخابات ظافرا، المثل الاعلى للمسيحيين، والناطق الاقوى باسمهم، واصبح اكثر زعيم ماروني شهرة ونفوذا. فلهذه النتيجة كانت هوة الفرق بينه وبين ناخبيه عميقة جدا في النظر الى الدين. وكانت سرا تحيرت فيه العقول (...).

وهذه هي صفة الحال في وليد جنبلاط الذي بايعه الدروز بالزعامة وتعهدوا بطاعته والانقياد له. وكذلك امسك السنة يد سعد الدين الحريري علامة قبولهم اياه واليا عليهم خلفا لوالده رفيق الحريري. واما الشيعة فقد رتعوا في الولاء لـ«حزب الله» و«حركة أمل»، كما كانوا راتعين لهما اصلا. لكن الانتخابات الاخيرة اعطت الحزب والحركة التحالف والتلاحم بل جعلتهما قوة واحدة موحدة عُقدت اليها جميع الاعناق.

وفي ما تقدم ما يكفينا مؤونة الرد على كلام الذين كلما تحدثوا عن هذه الانتخابات قالوا عنها هذه الجملة: «انها انتخابات ديمقراطية وطنية علمانية». كون المسيحي المتطرف تحالف مع السني الراديكالي (طالب الاصلاح السياسي التام السريع)، والسني مع الشيعي، والماروني مع السني، والدرزي مع الجميع. وهكذا.. وهذا لعمري منتهى المكابرة على الحقيقة. اذ لا يشك احد في ان اللبنانيين في هذه الانتخابات كانوا اشد تمسكا بالطائفية من اي وقت مضى، بل لم يسبق ان اعطت انتخابات نيابية في لبنان قوة واعتبارا للطوائف مثل ما اعطته هذه الانتخابات. واظن ان العقلاء في لبنان يدركون هذه الحقيقة.

وان كان ظن هؤلاء ان هذه النتيجة تؤمن لبنان على استقلاله وحل مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتجلب السلام للبنانيين، فهذا وهم عريق في البطلان. لان جميع الاضطرابات والمآسي اللبنانية تولدت من خلافات دينية، مع انها لم تكن دينية بأسبابها المباشرة. بدءا بثورة 1958، مرورا بأزمة 1969 (اتفاق القاهرة)، وصولا الى ازمة 1973، وانتهاء بحرب 1975 ـ 1991. وان كان ثمة أمل بالوحدة الوطنية وتمكن الألفة في ما بين اللبنانيين، فلا يكون الا بسياسة العدل والمساواة، والعدول عن تلك الاساليب الطائفية الخبيثة مما هو قائم الان، أي بطرح نير الطائفية من اعناقنا.

اجمال الكلام ان الطبقة السياسية الخسيسة غلبت على اللبنانيين واستعبدتهم منذ اول مراحل الاستقلال «التام الناجز» (...)، وحتى هذه اللحظة التي نكتب فيها هذه السطور، وخربت بيوتهم وشتتت شملهم وشوهت سمعتهم، فتريد ان تحتاط لاجل تأبيد سلطانها عليهم بجميع الوسائل، ولا تقف عن شيء في سبيل احكام سلاسل هذه العبودية، فتراها تحت هذه الجملة: «الوحدة الوطنية» تستميت في استئصال كل ما تخشى وقوفه في وجه مآربها السيئة، من فصل الدين عن الدولة، والانتماء الى الوطن بدل الطائفة، والارتفاع من موضع العصبية الى موضع القومية. ولا شك ان اغتباطها بعدم استعمال قانون انتخابي حزبي يقوم على آراء قومية ووطنية، ونجاحها في جعل اصطلاحاتها الطائفية قانونا يُرجع اليه في الانتخابات النيابية (كما رأينا في انتخابات 2005)، هما من آثار مكايدها الشيطانية التي نشأت عليها وما زالت تكد في استعمالها لتحول دون وضع الولاء للأرض ـ الوطن محل الولاء للطائفة ـ القبيلة. ومما يؤسف له كل الأسف هو كون سواد اللبنانيين لم يبرحوا على حال من السذاجة والتخلف الاجتماعي كالتي عُرفت منذ قرون. فتراهم يسومون على هذه الطبقة الفاسدة المفسدة الراتعة في ما حشدته من الثروات الضخام ثمن اللحم والدم (...)، يؤيدونها (عوض الجهر بضرورة الانتقام منها) في تمرغها في الذميم الدميم، على الرغم مما تحملوه من الخسائر في الاموال والارواح كونها هي مسؤولة عما حل بلبنان من مآس «وكوارث في حرب 1975 وما بعد، وما عانوه من اكدار الالتجاء والانقياد لها ابتغاء تدبير امورهم وسعيا وراء تحقيق حقوقهم. لانهم لا يجدون مؤسسات «حكومية» يتوكأون عليها، ولا «دولة» يطمئنون بها. تراهم يرتضون ايذاء انفسهم بسبب كونهم نشأوا على العصبية الدينية ولا يتلفتون الى سوى طوائفهم، ويخرون ساجدين امام «عماهم» الطائفي فطرة». واعجب من هذا انه اذا قام قوم من اللبنانيين بطلب الغاء الطائفية السياسية وبناء دولة وطنية حقيقية تؤمن المواطنين على حياتهم، قامت تلك الطبقة السياسية سدا في وجه مطالبهم، ونهضت لمنع اللبنانيين يعيشون كالاخوة، ويغارون جميعا على وطنهم. فتراهم قد غدوا بسببها منقسمين الى طوائف ومذاهب ليس بين بعضهم مع بعض من الالفة اكثر مما بين ضروب البهائم المتآلفة في حدائق الحيوانات (...).

وعلى هذا كله فان لبنان الذي يدين لحكم هذه الطبقة السياسية المتعصبة الرجسة النجسة الجاسية، التي جنت عليه جنايات هائلة وجرحته جروحا كبيرة، بحيث جعلته امارات وكيانات طائفية ردءا لها في مناصبها ومنافعها، لا يمكن ان يصبح دولة موحدة ونهائية لجميع ابنائه. ولكن هل تظن هذه الطبقة الاستغلالية في لبنان ان بمقدورها ان تحفظ اللبنانيين راسفين في اصفاد الطائفية والعبودية الى الابد؟

---

* صحافي من لبنان يقيم في استراليا

---

# عولمة الجسد وعري الثقافة

**عبدالعزيز محمد الخاطر***

■ ارتبط الجسد عبر الثقافات بالمعتقد أياً كان هذا المعتقد ونوعه فثقافة تُمجده وثقافة تعبده وأخرى تحتقره وترى فيه ملاذاً للخطايا والآثام فهو بحاجة الى عملية تطهير دائمة الى أن يفنى ويزول، وهناك ثقافة تجعل منه خط دفاعها الأخير الذى تنتحر ذوداً عنه اذا ما رأت أن هناك من يدنس قدسيته ويهين كرامته. فالجسد كان في السابق أجسادا مختلفه باختلاف المعتقدات والثقافات، أما عرى الثقافة فتاريخه تاريخ البشر والناس عبر العصور، فهو لا يبدو هاماً أو خطيراً الا حين يصطدم بالجسد فيصبح عري الجسد فاصلاً هاماً عدا غيره من أنواع العري المعنوي على الرغم من أن هذا الأخير أكثر خطورة أحياناً الا أنه لا يحقق ما يحققه عري الجسد من منافع تسويقية مادية. وعبر التاريخ كان التقاء الجسد بثقافة العري يواجه صعوبات في التحقق والانتشار فكان بطيئاً في انتشاره متثاقلا في انتقاله ولا يشهده الا من يقع ضمن أحزمة جغرافية معينة في هذا العالم، أما اليوم فان العولمة جعلت من هذا الالتقاء حتمياً وآنياً وضرورياً، لقد ضمت العولمة الجسد الانساني وبخاصة جسد المرأة ضمن محتوياتها الأخرى من الماديات ونجحت في تسليع الانسان وتنميطه، فأصبح العري ارتقاء كما كانت تحكي بعض الفلسفات القديمة من أن التخلص مما يستر الجسد هو نفسه التخلص من الدنيا وبراثينها وزينتها المقوته فالعري كان أولاً وهو طريق الخلاص. فبلاغة الصورة في عصر العولمة تحكي قصتين قصه عرى الجسد وعري الثقافة.

ان ابلغ ما يمكن أن تشاهده على قناة أي فضائية تلفزيونية عربية بالذات هو الأجساد العارية أو مستورة بما يعريها أمام المشاهد ويجعلها أكثر عرياً مما لو كانت عارية تماماً. نجحت العولمة في جعل العري نسبياً ولم يعد مطلقاً يتفق الجميع حوله وربطته بالهدف فمن أجل الهدف قد لا يبدو العري عرياً كما تتشدق بعض الفنانات من أن المشاهد الساخنة العارية لا تبدو كذلك عندما تكون في سياق السيناريو. كذلك فعلوا مع عري الثقافة الذي لم يعد يخدش الحياء أو يثير الغرائز وكل يوم نحن على موعد مع جانب من جوانب هذا العري النسبي الذي يُربط دائماً بهدف أسمى أو ضمن سيناريو أو سياق عام هدفه فيما يبدو جميلاً ونافعاً، فالدعايات عن المنشطات الجنسية للزوجين على مدار الساعة في وسائل الاعلام والوصفات الطبية والنفسية لها برامجها ومحاضراتها حتى شيوخ الدين أدلوا بدلوهم في هذا المجال محاولة منهم لتحقيق السعادة الزوجية، ولكن عن طريق ثقافة أخرى أكثر مقدرة على التفاصيل مما عهدنا منهم سابقاً وكأن التقاء الرجل بالمرأة اكتشاف جديد أتى فقط مع العولمة وعصرها المجيد. فالفيديو كليبات المزدحمة في قنواتنا الفضائية تمثل ثقافة عارية من كل شيء سوى جسد جميل يتمايل يمنة ويسرة وطولاً وعرضاً فبالتالي يجري تسويق العري بشكل غير مسبوق حتى الرياضة تم ربطها بعري الجسد وتحركاته وتمايلاته فأصبحت احدى مغريات المشاهدة التلفزيونية بعد أن كانت عناءً وتحتاج الى صبر وتحمل.

ولأن العري مُستهلك قصير الأمد والمدة فيكفي المرء منه نظرة واحدة قد لا يكررها ولأن الكثير منه لا يتفق وآدمية الانسان، فلا نعجب من ارتداد الكثير من أصحاب العري وثقافته الى التحجب والاستتار مرة أخرى، فالعورة سوءة وخطيئة كما ذكرها القران الكريم في قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة (فبدت لهما سوآتهما). لكن الطريف أن الجسد المعولم مصحوباً بعري الثقافة في برامجنا التلفزيونية على أنواعها غير مدرك ولا يجعلنا ندرك كذلك حين نشاهده أننا نعيش في تناقض كبير يتمثل في قشور العولمة التي في مقدمتها الجسد المعولم العاري وبين واقع نعايشه هو اقرب الى القرون الوسطى في مناطقنا العربية حيث يفتك الجسد بنفسه منتحراً قاتلاً كان أم مقتولاً.

على كل حال فإن مصادرة الخصوصيات بجميع أنواعها الثقافية أو الاجتماعية من سمات العولمة ولكن الثقافة العربية والاسلامية لا تزال تملك الكثير من أساليب المقاومة الايجابية لحيوتها اذا ما استثمر هذا الجانب استثماراً حسناً.

وعلى مر التاريخ كان الجسد والجنس سلاحي هدم وخلخلة للثقافات وقد أصبحا ثقافة لا تنتمي الى شعب معين أو وطن معين وكل همها البحث عن الفائدة والربح السريع ويستخدمها من يعجز عن اتيان البيوت من أبوابها سواء كان نظاماً معتدياً أو فرداً تسوقه ماديته وأغراضه الدنيئة.

---

* كاتب من قطر
azizthought@hotmail.com

---

# وأطلقت على مولودها الاسم «حاجزا»

**ا. د. حسيب شحادة***

■ هناك تأثير مُتبادل ما بين اللغتين الشقيقتين الساميّتين، العربية والعبرية، في الديار المقدّسة فهما لغتا دولة إسرائيل الرسميّتين، على الورق على الأقلّ، بالنسبة للغة الضاد. وهناك، كما هو معروف ومألوف، أسباب وأهداف عديدة تدْفع الإنسان لتعلّم لغة ما من اللغات الإنسانية التي يصل عددُها إلى أكثرَ من أربعة آلاف لغة. من هذه الأسباب ما هو اقتصادي واجتماعي وعلمي وسياسي وشخصي. وليس نادراً أن تسمع عمَّن يدرس لغةً معينة قراءة وترجمة للغة أمّه دون الطموح لإحراز أية مقدرة تُذكَر في المجالين الهامّين، الحديث والكتابة، وذلك ليُصبحَ فقط أستاذاً جامعياً يتحدّث في وسائل الإعلام المختلفة في بلاده، عن ثقافة ذلك الشعب وتاريخه ودينه وعاداته وتقاليده دون أن يكون قادراً على التحدّث مع عالمٍ من هذه الأمّة أو رجلُ بسيط فيها بلغتهما المكتوبةِ والمنطوقة، أو حتّى التمكّن من شراء كُتُب ومصادرَ في موضوع اختصاصه، من خلال استخدام لغة تخصصه. وشرّ البلية ما يُضحك، أن الناس عادةً، الخواصّ والعوامّ على حدّ سواء، لا يعلمون أن مثل هؤلاء الأساتذة المتغطرسين حتى الثمالة والمنفوخين حتى نقطة الانفجار، لا يجرؤون على التفوّه بأية جملة ذات بال في لغة تخصصهم أو إلقاء محاضرة ذات بضع دقائق بتلك اللغة، فهناك تعتيم شامل ومُطبق حولهم، ولا بدّ إزاء هذه الظاهرة السلبية والمضلّلة من العمل الدؤوب بغية إزالة مثل هذه الضبابية والسرية لكشف الحقيقة عارية دون أية رتوش. وهناك من يتعلّم اللغة العربية مثلاً كي يعيش، كي يحصل على قوت يومه، لا أكثر ولا أقلّ، كما يرد على لسان أحد الشبّان في بيت تحت مقابلته للصحافية الإسرائيلية، عميرة هس، في الصحيفة الإسرائيلية العبرية اليومية، «هآرتس»، في خريف العام 2001. يتذكر إن إحدى الكلمات العبرية الأكثر شيوعاً في حالات اللقاء اليومية بين أبناء إسحق وإسماعيل، أي الجنود الإسرائيليين من جهة والمدنيين الفلسطينيين من جهة أخرى في أيامنا هذه هي لفظة «محسوم» أي «الحاجز»، والجدير بالذكر أن هذه الكلمة وحيدة-hapaxlegome non أو، كما يقال في الأبحاث العلمية، لفظة فردة، في العهد القديم إذ أنها وردت مرة واحدة فقط في سفر المزامير الإصحاح 39 العدد 2 الذي يعود تاريخ تدوينه النهائي إلى القرن الثالث ق.م. «قلتُ أنتبه إلى سُلُوكي لئلا يخطأ لساني، وأضع لفمي لجاماً ما دام الشّرير أمامي». بعبارة أخرى، معنى هذه الكلمة «مَحْسوم» في العبرية الكلاسيكية هو «اللجام أو الكمام أو الشِّمام وهو ما يكمّ فم الحيوان كالكلب والثور والعجل والفرس لئلا يأكل أو يعض». أما العبري الذي يتحدّث مكانة محترمة في التراث العبري فهي كلمة خاصة به لتدلّ على اللجام والكِمّ وهي الكعام والكمامة وللجم الشيام. أما في العبرية الحديثة فكلمة «محسوم» تعني بالإضافة إلى لجام، كعام، شِبام، كلام من الحاجز، العقبة، العائق، الكُتلة، الحَجرة، المتراس، السدّ، إلخ، إلى آخر المعاني وأكثرها تداولاً في صفوف الفلسطينيين في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة هو «الحاجز». وما أدراك ما الحاجز الحاجز المقصود هنا عبارة عن نقطة تفتيش يتواجد فيها بضعةُ جنود إسرائيليين مسلّحين وسيارة جيب عسكرية وأجهزة اتّصال. يُوقِف هؤلاء الجنود، المطلوب منهم القيام بمهمة أمنيَة، سيارات الفلسطينيين والمارّة للتفتيش والتدقيق والتحقيق ولا يخلو الأمر من التحقير والإذلال كما سيتبين من العينّة اللغوية التي التقطتها مسامع السيدّة عميرة هس. ومن الألفاظ والعبارات التي يستخدمها مثل هؤلاء الجنود الشبان في الحواجز المنتشرة في الديار المقدسة كانتشار المستوطنات والبؤر الاستيطانية اليهودية ما يلي: أقعُد على قفاك، بعوضة، أنت صغير كهذا )ربما مشيراً إلى الخنصر أو البنصر أو السبابة أو الإبهام(، إنصرف، طرِ من هنا، لا تتدخّل، حشرات، قذر، إرفع يديك؛ قف هناك، إطفىء المحرّك، إلى الوراء، إنصرف، كذّاب، لا أصدقكم، قُلِ الحقيقة، أحمق، أني أكسر لك رِجليك، إني أمزّق لك إطارات العجلات، قررِّ ماذا تريد، طلقة تساوي ألفي دولار من العراق، إشارة إلى الهبة المقدمة إلى أسرة الضحايا الفلسطينيين، أم خبراً عاجلاً، إشارة إلى ما يردُ في التلفزيون الفلسطيني في كلّ مرّة يُطلق فيها جيش الدفاع الإسرائيلي النارَ والناس يُصابون. لا ريبَ أن عبرية إذ أنها حُبلى بالشتائم والمسبّات. من المناسبات السارّة في الحياة الزوجية عملية البحث والتفتيش والتنقيب عن اسم ملائم وجميل للمولود الجديد أو المولودة الجديدة. يتشاور الوالدان وبعض الأقارب بغية الاتفاق على اسم سيُقال عنه في المستقبل «إنه اسم على مسمى». وفي بعض الحالات، لا يخفى على أحد، لا حاجة لمثل هذا البحث والمجهود فالابن البكر يحمل اسم جدّه في جلّ الحالات والمولود ليلة عيد الميلاد المجيد لدى العرب المسيحيين يحمل اسم «ميلاد» وفي عيد الغطاس أي الظهور الإلهي، يُدعى كل من الجنسين «غطّاس». للذكر والأنثى. وقد حدث مؤخراً أن امرأة فلسطينية من مدينة خان يونس في قطاع غزة قد جاءها المخاض لتلد طفلها الأول، وبينما كانت في طريقها بالسيارة إلى مستشفى «ناصر» في المدينة لتضع مولودها هناك. وفي الطريق كالعادة كان «الحاجز» لها بالمرصاد وأوقفت السيارة للتفتيش والتدقيق والتحقيق و... و... و... اشتدّ الطلق الوالدة وتوالت فأنجبت هناك في السيارة على «المحسوم» أي «الحاجز». لم تتردد الأم في انتقاء اسم لمولودها «الغضن» إذ أطلقت عليه الاسم «حاجزا» كي يتذكر عندما يكبُر ويشتدّ عوده ما قاساه أهلوه وذووه من العذاب والتنكيل والإذلال على «الحواجز، الحاسيم». وهذا الاسم مشتقّ من أصل عربي أصيل يدلّ على المنع والفصل و«حدّ السيف» والعلم أيضاً. ويقال إن بلاد الحجاز قد سمّيت بهذا الاسم لأنها تفصل تهامة عن نجد. وربما يحق لنا أن نضيف بأن الطالب الراسب ما يجري في عالمنا اليوم إذ أن ظنّ أن الاسم «حاجزا» دُعي كذلك للفصل بين الخير والشر، بين السلام والحرب، بين هذا وذاك، بين نحن وأنتم، والله أعلم إذا كان يمكن محوٍ ما في الذاكرة هما كثرت الحاسيم، وعلا وسمك الجدار العازل.

---

* جامعة هلسنكي

---

# هل زال الخطر عن النظام السوري؟

**د. محمد عجلاني***

■ لا شك ان الظروف الاقليمية والدولية والداخلية السورية الاخيرة خدمت النظام السوري وامدت بعمره، هذا تم ليس بشطارة وحنكة القيادة السورية، ولكن الظروف والمتغيرات الاخيرة خدمته بشكل كبير واخرت سقوطه ونذكر من اهم هذه العوامل:

1ـ الجيش الامريكي تحت وطء ضربات المقاومة الوطنية العراقية لم يعد لديه اي استراتيجية لاطاحة او دعم اي تغيير في اي دولة مجاورة، فالمقاومة العراقية اخرت سقوط النظام السوري وتؤخر اليوم الضربة الامريكية باتجاه ايران.

2ـ ظهور ايران كدولة اقليمية ترغب بالحفاظ على قدرات نووية مستقلة، حول جميع الانظار الامريكية باتجاه طهران، وبايعاز من اللوبي اليهودي في امريكا اصبحت طهران اخطر من دمشق على المصالح الاسرائيلية، والكلام يدور حاليا في كواليس الدولتين، لنهتم بايران وننتهي منها قبل الاستدارة نحو دمشق.

3ـ غاب عن الادارة الامريكية الصقور من الوزن الثقيل: بيرل وولفويتز وهما من اكثر الاشخاص حماسة وشغفا باسقاط النظام السوري، كان بيرل يقول ان نظام دمشق من اخطر الانظمة وهو من اشدها عداء للغرب ولامريكا. وجاءت كوندوليزا رايس لتقول مقولتها الشهيرة، لن نسقط النظام في سورية، ولكننا لن نمنع الاخرين من الراغبين باسقاطه.

4ـ تدخلت السعودية ومصر وفرنسا واسرائيل بشكل كبير لدى الادارة الامريكية لافهام واشنطن بان اسقاط النظام الحالي في سورية سيؤدي الى فوضى كبيرة وحرب اهلية وسيطرة اسلامية على الحكم.

5ـ لعب النظام السوري الورقة الاسلامية بشكل جيد، فهو يخيف الجميع بهذه الورقة ويقول للغرب اما ان تقبلوني بكل مساوئي وعلاتي واما ان تواجهوا حمكا ونظاما اسلاميا، وعليكم ان تختاروا.

6ـ حسن النظام علاقاته بشكل جيد مع الدول الاقليمية المجاورة، واعاد لدوره بعض الأهمية في لبنان عن طريق حلفائه التقلدين من حزب الله وامل، وامسك بشكل جيد بالورقة الفلسطينية المتمثلة بحماس عن طريق توفير دعم ولو لفظي لها بينما حارب الوالد عرفات ونظامه بكل ما اوتي من قوة.

7ـ وصلت امريكا الى قناعة بان المجتمع المدني في سورية من نقابات وهيئات واحزاب غير قادر على التغيير، كما حدث في جورجيا واوكرانيا، وبأن القيادات القادرة على التغيير يجب اختيارها من داخل السلطة الحاكمة ومن جسم المؤسسة الحاكمة، فهل ستنجح في ذلك؟ وهل ستجد من داخل المؤسسة من يتعاون معها؟

الان النظام في سورية على محك كبير، وامام امتحان كبير ليستعيد اذا رغب بذلك تماسكه وقوته وهذا لا يتحقق الا بأمرين مهمين:

1ـ الغاء كل توتر في العلاقة السورية ـ اللبنانية، والقضاء على الخاصرة الضعيفة التي ازعجت سورية على مر التاريخ، وبدون ان يفكر النظام السوري باقامة علاقات سليمة واستراتيجية مع لبنان من تمثيل دبلوماسي وتبادل للسفارات وترسيم للحدود كما فعل مع الاردن، فان الخطر لن يزول عنه، اقامة العلاقات الدبلوماسية مع لبنان يجب ان لا تكون مطلبا امريكيا، بل سوريا وعلى رأس قائمة الاجندة السورية، ولتبعث بعد ذلك سورية بأحسن وافضل دبلوماسييها الى لبنان، لان حجم العلاقات بين البلدين اصبح يحتاج لسفارة كبيرة جدا.

2ـ لا بد من مصالحة داخلية حقيقية شعبية كبيرة واستراتيجية ونهائية، لا يمكن للنظام بعد ان اصطفت معارضته الوطنية مع سورية لمصلحة سورية وضد امريكا ان يبقى متجاهلا لهذا الشعور الوطني لدى معارضته، بل يجب فتح باب المنتديات السياسية من جديد، واشعار الجميع بانهم مواطنون بكل حق وحقيق، وان تعاد الجنسية السورية وجواز السفر السوري للجميع، لا تخوين ولا تجريم، سورية ليست لفئة واحدة، ولا لعائلة واحدة، ولا لطائفة واحدة، ولا لعشيرة واحدة، سورية للجميع لكل من ولد من اب وام سورية، ولكل من ترعرع على هذه الارض، واذا كان النظام فعلا جادا في توجهه الوطني عليه ان يلغي جميع احكام الطوارىء، والقانون 49، والخدمة العسكرية الالزامية لمن هم فوق سن معين، واهم من هذا وذاك، منع التوريث الذي اصبح الطامة الكبرى والكارثة الكبرى، فانت لا يحق لك ان تنال اي منصب اذا لم تكن ابن فلان او علتان، فأين هي افكار المساواة وافكار البعث والافكار التقدمية والاشتراكية التي تغنى جيل كامل بها؟

---

* رئيس مركز دراسات الحياة السياسية السورية في باريس

---

# المخرج لمواجهة الازمة السياسية في فلسطين

**ابراهيم نتيل ***

■ يمكن ان نقول بان الشعب الفلسطيني كفر بكل انواع التفرد والهيمنة العائلية والحمائلية وحتي الرمزية القيادية بمصيره السياسي منذ الايام الاولي لبزوغ الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية الفلسطينية. وان اراد له القدر اليوم ان يعيش ايضاً نوعاً جديداً من التفرد الفصائلي والحزبي الضيق بكل المقايس السياسية . نحن هنا لا نلوم او نشير بالبنان الي احد بل نلوم السياسة المتحجرة التي تودي الي انسداد الافق لتوصل الي اي اجماع حول هدف واستراتيجية واحدة للاستمرار في عملية التحرر الوطني وطي صفحات من الاجتهاد الفردي اوالحزبي بمصير شعب باكمله. نلوم التصريحات والحملات الدعائية الصفراء التي لا تقوم علي الادلة والبرهان الواضح وهي التي لا تخدم الا اعداء الشعب الفلسطيني وتهدد نسيجه الاجتماعي الدي شهد له الشقيق والعدو عبر التاريخ بالتكافل والتضامن والتأخي.

يحتاج اليوم الشعب الفلسطيني بكل بجدية وواقعية وبدون عمي حزبي دامس لمن يخرج من بين ركام الحزبية ويعلن مبادرة امينة وخالصة لدمج الجميع تحت مظلة واحدة شاملة توحد الفرقاء وتكون فرضاًعلي الجميع لان وحدة الجماعة والمجتمع فريضة وليست سنة حزبية للتمترس حولها. للاسف دارت حوارات تتلو حوارات لبيع وتسجيل مواقف امام المواطن الفلسطيني الذي لاحولة ولاقوه له الا يجد من يكون ضالته للخروج من الازمة السياسية والاقتصادية الخانقة التي ممكن ان تكون مرحلة جديدة من الازمات التي واجهت الشعب الفلسطيني. نعم يحتاج الشعب الفلسطيني لكل اشقاء والمخلصين والمحبين للقضية الفلسطينية للخروج من الازمة ولكن اقول بكل صراحة ,كما يقول بالمثل لا يحك ظهرك الا ظفرك. فرح الكثير من ابناء الشعب الفلسطيني عندما علم من خلال وسائل الاعلام عن الحوار الوطني الشامل بين فصائل الفلسطينية في الاراضي المحتلة ولكن للاسف كما كان الكثير ايضاً متخوف بان هذا الحوار ممكن ان يكون فصلاً جديداًمن فصول العلاقات العامة علي الرغم بان هناك حوار القاهرة وغيره كان مثالاً ناصعاًللوحدة ولكن دائماًللاسف يكون التواصل والوحدة بين الفصائل مرشحة للهبوط عن سلم النجأة لمستنقع التجادبات والاختلافات السياسية الغير مبررة علي الاطلاق مهما بلغت الاسباب علي الرغم بان الثوابت الفلسطينية راسخة بين الجميع علي الملأ.

يمكن القول للخروج من نفق الاختلاف ,بان الازمة الاقتصادية والسياسية اليوم ممكن ان تكون نقمة علي المجتمع للاسف بل ممكن ان تكون دافع قوي لجميع المتمترسين خلف الحزبية للتفكير الف مرة بدون غرور متأزم للنزول عن النزوات الفصائلية لرسم استراتيجيات وتكتكيات واقعية موحدة لاستكمال عملية التحرر الوطني الفلسطيني بما يتلائم مع التطورات الوطنية والاقليمية بدون التنازل عن الثوابت الوطنية لتعزيز الموقف واثبات للجميع باننا مثال جديد للوحدة كما كان في النضال والديمقراطية معاً. الديمقراطية يجب ان تكون سبباًلتوافق وليست سبباًللتشردم والتحزب. نتيجة الممارسة الديمقراطية في الحالة الفلسطينية يجب ان تكون لها الخصوصية الفريدة للاجماع حول اهداف موحدة وليست نوعاً جديداًللتفرد بحجة الاغلبية البرلمانية او الشرعية التاريخية الوحيدة نحو الدخول للمحافل الدولية والتي يجب ان تطوع كمؤشرات سياسية ضرورية وملحة للخروج من الازمة.

نعم هناك تآمرو تجني علي الديمقراطية الفلسطينية وللقيم الحضارية المتنورة لحقوق الانسان ونشر ثقافتها من قوي معنية باستمرار عدم الاستقرارفي داخل المجتمع الفلسطيني للحفاظ علي مصالحهم الاقليمية والمحلية. ولكن يوجب الوقوف الف مرة مع الذاتية والفصائلية والعشائرية وان نقول معا بصوت عال لماذا الاتهامات المتبادلة عن حالة الفلتان الامني المكتسحة للمجتمع الفلسطيني.

لما لا يوجد هناك مجهودات مشتركة علي جميع الصعد لانهاء هذه الحالة لمواجهة التجني علي العملية الديمقراطية الناشئة وناجحة علي الرغم من فقدان للسيادة وحتي ممارسة ابسط مفاهيم السيطرة السياسية وادارة شئون السكان الفلسطينين بسبب الاحتلال والحصار الاقتصادي الدولي الغير مسئوول ومواجهتها بتشكيل حكومة وحدة فلسطينية ذات قاعدة عريضة بالنزول عن قبطان الحزبية والتوقف عن الاتهامات المتبادلة.

---

* ناشط من منظمات المجتمع المدني